مفهوم التعصب في الفلسفة الحديثة لوك وهيجل انموذجا

م.د. ميثم محمد يسر كلية الاداب جامعة واسط

المقدمة

قال امير المؤمنين علي بن ابي طالب ((عليه السلام))(الناس اعداء ماجهلوا نهج البلاغة:501[1]) التعصب من وجهة نظر فلسفية او من وجهة نظر الفلسفة الحديثة "لوك – وهيغلانموذجا" .. ارتئينا في هذا البحث ان نعرض لهذه لظاهرة الخطيرة ، التي ابتليت مجتمعاتنا العربية والاسلامية به ، وباتت ظاهرة عالمية ، اي انها تؤثر على كل بلدان العالم ، ويخشى ان تدمر الحضارة الانسانية اجمع ...

ومع ان جل الدراسات التي طرحت في هذا المجال هي دراسات اجتماعية ونفسية الا انني اعتقد ان هذه الظاهرة كان اول المتصدين لها هم الفلاسفة . وهم بنفس الوقت اول المكتوين بنارها ، فمن سقراط وارسطو وافلاطون ... الى برنو وغاليلو وديكارت وسبينوزا ، والقائمة تطول ، قد تعرضوا لخطر الارهاب والتعصب ، ولذلك نجد ان جل الفلاسفة قد حاولوا ان يواجهوا التعصب بكشف اسبابه ، ووضع الحلول له . وبما ان الفلسفة ماهي الا تجريد للواقع الاجتماعي ، اي هي البناء الفوقي للمجتمع . وبما ان الفيلسوف هو ابن طبقته ومجتمعه وهو الاجدر بالتصدي للفكر المنحرف والظواهر الاجتماعية التي ظواهر فكرية غير سوية ، فنحن نرى ان الواجب والمهم ان تعرض لكيفية تصدي الفلاسفة ، او لنموذج من الفلاسفة في العصر الحديث ، هذه الظاهرة التاريخية الخطيرة ، ظاهرة التعصب . وقد اخذنا انموذجين من مدرستين مختلفتين ، او مذهبين مختلفين للتعصب ، هما الفيلسوف الانجليزي (جون لوك) وهو فيلسوف تجريبي واحد اصحاب الحقوق المدنية ، واحد فلاسفة العقد الاجتماعي .

اما الفيلسوف الاخر هو الفيلسوف الالماني "هيغل" وهو ذو اتجاه مثالي مطلق ، اذ يعتبر قمة ما وصلت اليه المثالية الالمانية ، وكلاهما فيلسوفان ينتمون لفترة تاريخية واحدة ، اذا

---

[1] نهج البلاغة : وهو مجموع ما اختاره الشريف ابو الحسن محمد الرضي الحسن الموسوي (ت 404هـ) من كلام امير المؤمنين ابي الحسن علي بن ابي طالب عليه السلام ضبط نصه وابتكر فهارسه العلمية د. صبحي صالح بيروت 1387هـ -1967م .[1]

ماقسمنا الفلسفة الى فترات تاريخية فانهما ينتميان الى العصر الحديث ، ولكنهما عاشا في فترتين مختلفتين ، فـ"لوك"عاش في القرن السابع عشر و "هيغل" عاش في القرن الثامن عشر وفي النصف الاول من القرن التاسع عشر .. وكلا الفيلسوفين قاما بعملية نقد وتحليل لظاهرة التعصب ، الا ان "لوك" قد اهتم بنوع واحد من التعصب ، الا وهو التعصب الديني . اما هيغل فقد انتبه الى نوع اخر من التعصب عند تحليله لظاهرة التعصب الديني ، الا وهو التعصب العلماني ، وهذا ماسوف نعرفه في تضاعيف البحث ، ولكن قبل ذلك وجب تحديد "المصطلح" وهذا ماسوف نعرفه من معاجم اللغة العربية ، ماهو معنى المصطلح لغة ، وسنعرف ايضا من القاموس النفسي والاجتماعي والفلسفي ما هو المعنى الاصطلاحي اي المفهوم .. ثم نتتبع تطوره تاريخيا ، لان قضية المفاهيم وتحديدها هي من الاهمية بمكان .. ولكي لانسمح للخلط في المفاهيم ان يحدث ، ومن خلال ذلك سوف نعرف باي معنى تناول الفيلسوفان المذكوران هذا المفهوم .

التعصب لغة :

عصب الشيء : بمعنى شدة ، وعصب القوم بمعنى اجتمعوا حوله واحاطوا به . والتعصب هو المحاماة والمدافعة عن رأي او موقف ويقال : تعصب عليه : اي قاومه . قاوم الحق لان التعصب لايفرق بين الحق والباطل ، اذ هو اعمى لايرى الحقيقة[1] .

وفي نهج البلاغة هناك نص يمكن ان نستدل به على هذا المعنى ، اذ يقول علي عليه السلام :((فسجدوا الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس ، اعترضته الحمية ، فافتخر على ادم بخلقه ، و "تعصب" عليه لاصلة ، فعدو الله امام المتعصبين ، وسلف المتكبرين ، الذي وضع اساس العصبية))[2] . واليوم العصيب : هو اليوم الشديد الحر . وقيل : عصب الفم ، اي : اتسخت اسنانه من الغبار وشدة العطش او الخوف . فهي كلها اوضاع استثنائية ، اي ان الانسان هنا ليس في حالة طبيعية ، سواء كان بسبب الطبيعة ، او بسبب انسان اخر[3].

وقيل : عصب الرجل ببيته ، اي قام به لايخرج منه . والحالة الطبيعية ان الرجل لايبقى في البيت ، الا لمرض الم به ، او نازلة نزلت به .

فالتعصب : هو حالة او موقف غير طبيعي ، او غير اعتيادي ، او حالة غير حيوية يمر بها الانسان سايكولوجيا ، او اجتماعيا ، او حالة شديدة التطرف تمر بها الطبيعة كحرارة الجو مثلا .

" ان العلاقة اللغوية بين عَصبَ – وتَعَصّبَ : هي البعد الدلالي الذي يغدو فيه التعصب ثباتاً متحجراً على اصل ، او رأي ، أو فهم ، أو تأويل ، أو اعتقاد ، ومن ثم تصديق مطلق لكل ماينقل عن الجماعة ، ان الدلالة اللغوية للتعصب لاتخلو من اقترانها بالفهم الجامد للنصوص والافكار والمعتقدات . وتؤدي بكلتا الدلالتين الى احوال القسر والقمع الذي هو نتيجة طبيعية لأصولية التعصب[4] .

المفهوم المعرفي للتعصب :

لتوضيح مفهوم التعصب ، يجب اولا الاستعانة بعلمي : النفس والاجتماع ، وتوضيح ماذا يعني هذا المصطلح نفسيا واجتماعيا . اذ ان التعصب موقف فردي "سلوك فردي" ، وهذا من اختصاص علم النفس ؟، حيث يتحول الى ظاهرة اجتماعية ، حينما تتبناه فئة او طبقة او مجموعة ، وهذا من اختصاص علم الاجتماع، وبالتالي من المؤمل ان نخلص الى نتيجة فكرية فلسفية ، اي : يكون باستطاعة الفيلسوف ان يعالج المشكلة فكريا .

يرى المشتغلون في المجال النفسي ان اصل كلمة تعصب اتية من الكلمة اللاتينية (الحكم المسبق Pyejudicum) اي الحكم الذي يصدر عن موضوع معين قبل اختبار الحقائق وفحصها ، اي انه حكم متعجل[5] .

اكتسب هذا الموضوع خاصية الانفعالية ، مع او ضد شخص او جماعة ، هذه الانفعالية تكون حكما مسبقا دون دليل ، ويصبح بالتالي التعصب حكما جامدا مشحوناً انفعاليا ، وليس من السهل تغييره ، حتى لو الزمت صاحبه الحجة الصحيحة بالمعلومات المناقضة لرايه[6] .

كما ان علماء النفس يرون التعصب ذا اتجاهين . سالب وموجب ، مع او ضد فرد او جماعة[7] .

فالاتجاه التعصبي السالب يعرف انه اتجاه سالب نحو شخص ، او ضد جماعة ، او انه اتجاه سالب لايمكن تبريره ازاء جماعه ما ، يقومون على حكم مسبق يجعلنا نتحيز ضد اعضائها . لانهم ينتمون الى تلك الجماعة[8] .

ان التعصب يعكس حكما مسبقا يسحب على فرد او جماعة ، ويرتبط بمشاعر قوية موجبة او سالبة ، ويرتبط بسلوك تحيزي "ضد او لصالح" افراد هذه الجماعة . ويقوم على اساس عنصرية الجماعة ، وليس على المميزات والعيوب الفردية .

واما في المجال الاجتماعي ، فيعرف التعصب : بانه اتجاه سالب او موجب ازاء جماعة ما ، يقوم فقط على اساس عضويتهم من هذه الجماعة . بمعنى ان التعصب يميل الى تقسيم اعضاء الجماعة بطريقة محددة : سالبة كانت او موجبة ، فقط لمجرد انهم ينتمون لهذه الجماعة ، وليس وفقا لسلوكهم وخصائصهم الشخصية، وانهم مكروهون او محبوبون لانهم ينتسبون الى جماعة اجتماعية محددة[9] .

وهناك تعريف اخر يمكن ان نستقيه من قاموس علم الاجتماع يقول : انه اتجاه – مع تلون انفعالي – معاد ، او في صف افعال او اشياء من نوع معين ، او اشخاص معينين ، او مبادئ معينة ، قد صنع مقدما دون توفر ادلة كافية . وهو يهيئ الفرد سلفا للسلوك او للتفكير بطريقة معينة تجاه بعض الموضوعات المعينة الواضحة "اشخاص او مبادئ"[10] . ويتكون

التعصب حال عدم وجود معلومات كافية/ ووجود قابلية او اسراف في التعميم ، ومقاومة المعلومات الصحيحة الجديدة، والذي يسمى بالتصلب او بالتزمت[11].

اذن ومن كل هذه التعريفات ، والتحديدات ، والتحليلات للتعريفات النفسية والاجتماعية ، نستطيع ان نقول : ان التعصب سلوك فردي بكل ما يحمل من المعاني الموضحة في ما ذكرناه انفا ، ثم يتحول الى سلوك اجتماعي . ولذلك نرى ان هناك تداخلا بين التعريف النفسي والتعريف الاجتماعي لهذا المفهوم .

المفهوم الفلسفي للتعصب :-

هنالك تعريفات مختلفة لمفهوم التعصب ، يمكن ان نجملها بالاتي :-

((التعصب Fanatism)) يطلق هذا المصطلح على التعصب ، وبعني حرفيا: الانحياز التحزبي الى شيء , او فكرة ، او مبدأ ، او معتقد ، او شخص . ويحيلنا هذا المفهوم الى مفاهيم جديدة ، تصب معانيها في اتجاه واحد الا وهو الفتنة او الافتتان ، او الفتنة بمعنى الانبهار الذي يعمي البصيرة ، ويمنعها من رؤية حقائق اخرى مناقضة او مغايرة . وهنا تقترب فكرة التعصب من فكرة الاصولية ، او الارتباط المطلق بالاصول ، او الاصولية ، او التزمت ، او الانحياز المطلق[12] . ان الافتتان مرتبط بشدة بالتزمت في اللغات الاوربية ، ولاسيما التزمت الديني او الاصولي ، اذ ربط فلاسفة عصر النهضة فكرة التنوير او انوار العلم بمحاربة اي نوع من انواع التعصب الاعمى . مثل فولتير ، ورسو ، وديدور ، وغيرهم من فلاسفة عصر التنوير الفرنسي ، فقد وجد فولتير مثلا في الفلسفة دواءً ناجعا ضد التعصب ، فهو يقول : ان هناك آصرة وتجاوراً مابين التعصب والتزمت العقائدي ، تشبه مالوجع ارتفاع الحرارة من تأثير على الجسم ... إذن هنالك من الناس من يأخذ أفكاراً مثل الشطحات الصوفية ، أو الاقاويل ، على انّها حقائق مفروغ منها ... ويتفاخر البعض بحماسته عند اقترافه اشنع انواع القتل ، وهذه ميزة التعصب[13] ..

لذلك سمى كل من دافع عن عقيدته ، او من عرض اموره ، او دافع عن شخص يحبه ، بحماسة عمياء ، تجعله يأخذ جميع الوسائل لنصره مايقول "متعصباً"[14].

وبالتالي فالمتعصب : هو كل من سخّر عقله لهواه ، ونصر رأيه بالعنف ، ولايتحمل النقاش ، او الجدال ، حتى اذا الزم الحجة والدليل[15] .

وهناك كذلك ارتباط وثيق بين مفهوم التعصب ، ومفهوم "التابو" ، ولكن ما هو "التابو" ؟ آن التابو مصطلح انثروبولوجي ، ويعني انّ ثمة اشخاصا او اشياء غير حيّة ، قد عزلت عن العالم ، واصبحت مقدّسة ، او غير قابلة للنقد . ومن جهة اخرى فان التابو يحتوي امرا سلبيا مطلقاً بالمعنى السلبي "لاتقتل" ، وبالتالي فان اساس التابو هو الامر الممنوع[16] .. وهناك مسلمات تعتبر محرمات عند المتعصب، لايريد مناقشتها عقليا ، لمعرفة صحتها من خطئها ، اذ هي مقدسات يُمنع النقاش فيها[17] ..

والفلسفة التي تفسر ظواهر الوجود من خلال ارجاعها الى قوة خفية تُسمّى بـ((فلسفة التعصب)) . وهكذا كانت فلسفة "روبرت فلود" الموسوية التعصبية ، وطروحات النازية ، إذ كان اساس النازية هو اسطورة الجنس الآري[18] .

وترتبط كلمة التعصب بمصطلح ((الدوغمائية)) ، التي تدل على التعصب لفكرة معّينة ، من قبل مجموعة معينة ، دون القبول بالنقاش فيها ، او الاتيان بايّ دليل . والدوغمائية تعني لدى الاغريق الجمود الفكري . او هي تعني التشدد في الاعتقاد الديني والايديولوجي . واصل الكلمة اليونانية يعني : الرأي او المعتقد الاوحد الذي يزعم أن قولا معينا غير قابل للدحض على الاطلاق[19].

وكذلك يمكن توضيح مفهوم التعصب ، من خلال عرض مفهوم نقيض له الا وهو مفهوم التسامح . والتسامح معناه ((عدم معاقبة الاخرين من اصحاب الاراء المخالفة لرأي ما . الشخص المتسامح هو الشخص الذي يقبل بالرأي الاخر ، ويتعايش معه ، ولايتزمت برأيه))[20] .

اننا نعتقد من خلال هذا التحليل ، وحشد التعريفات المختلفة لمفهوم التعصب، وتوضيح المفاهيم المرتبطة بالتعصب ، اننا قد اوضحنا ولو بشكل بسيط مفهوم التعصب ، وجذوره ، وتحديد الاشارة الى ان هناك انواعا مختلفة من التعصب . فالتعصب ليس فقط دينيا او اديولوجيا ، بل هناك صور كثيرة ومختلفة للتعصب يمكن ان نجملها على نحو مايأتي :-

1. التعصب الديني يؤدي الى اضطهاد العلماء .
2. التعصب الفكري يؤدي الى الدوغمائية "الجمود الفكري" او اطلاق حكم مطلق من دون دليل او بينة .
3. التعصب القومي يؤدي الى تكوين ايديولوجيات لاتقبل الا بمبادئها ، والخضوع لسلطتها ، وترفض غيرها .
4. في مجال السياسة يؤدي هذا التعصب الى الدكتاتورية و الاستبداد .
5. التعصب العنصري "الجنس او العرق" يؤدي الى تحقير جنسي للاخر .

الفلسفة ضد التعصب

ان الفلسفة تتناول ظاهرة التعصب على انها ظاهرة فكرية ، اي تحليل الفكر التعصبي ، وكيف انتج ، وتكون على تماس مع علمي النفس والاجتماع باعتبار انهما يدرسان الواقع .

والتعصب ، كظاهرة فكرية ، له تأثير كبير على الفلسفة والفلاسفة ، ولتحديد العلاقة بين الفلسفة والتعصب يجب تحديد المفاهيم : فمعنى الفلسفة منذ بدايتها ، اي: عند ظهورها في اليونان هو ""حب الحكمة" . الفيلسوف هو الرجل الذي يحب الحكمة . والحكمة هي المعرفة الصحيحة التي يتوصل اليها العقل ، عن طريق ممارسة التفكير الحر ، القائم على المنطق ، والانفتاح ، والتنوع ، والمبني على قواعد منهجية وبراهين عقلية ، وليس عبر التفكير التلقائي

العشوائي الخيالي او الاسطوري . فالفلسفة بصورة عامة هي ((خطاب عقلي متماسك قائم على تأمُّل الموضوعات والاشياء عقليا ، بهدف معرفة حقائقها))[21] . في حين لو جئنا الى مفهوم التعصب كما اوضحنا سابقا – فهو يعني عقيدة دينية او سياسية متطرفة ، تتميز بدرجة عالية من الانغلاق والتصلب . نستشف من خلال هذا العرض لمفهوم الفلسفة ومفهوم التعصب . ان الفلسفة نقيض التعصب . واما مايطلق على بعض الفلسفات بانها فلسفات تعصبية ، فهي في الحقيقة ليست فلسفة بالمعنى الصحيح ، لماذا ؟ لان الفلسفة هي موقف نقدي وعقلاني حر ، ويقول بالراي الاخر ، وترفض اي مقدس ، ولايعتمد على شيء اسطوري بل تعتمد على المنطق والعقل والحقائق التجريبية[22] ... والحقيقة ان اهم نوع عالجته الفلسفة في العصر الحديث من التعصب هو التعصب الديني ، ويظهر ذلك جليا في ادبيات الفلاسفة في عصر التنوير خاصة وماقبله ، اذ تعرض هؤلاء الفلاسفة منذ ديكارت الذي قضى معظم حياته مهاجرا خارج بلده فرنسا التي كانت ترزخ تحت التزمت والتعصب، وتعرض لانتقادات شديدة ، بسبب انتصاره للعقل والعقلانية . واضطر الى ان يرد على اتهامات المتعصبين و المشككين بابحاثه عدة مرات[23] .. بسبب انتصاره للعقل باعتباره هو القاسم والحاكم في نفس الوقت .

وكذلك كان سبينوزا في الوقت نفسه قد تعرض لاهانات شتى من ابناء جلدته من اليهود المتعصبين ، وموقفه من الدين بصورة عامة[24] .

لقد كان التعصب الديني وكيفية معالجته هو الهم الاكبر لفلاسفة عصر التنوير الفرنسي ، مثل روسو وديروووهولباخ وغيرهم ، من فلاسفة موسوعة العلوم الفرنسية[25]..

وقد نما في العصر الحديث نوع اخر من انواع التعصب نتيجة للانحياز المتطرف للعقل والايمان المطلق بالعلم وقدرته على حل جميع مشاكل الانسان ، وحل كل الغاز الطبيعة ، وقدرته على الاجابة على كل التساؤلات .

وبسبب الصراع المرير بين الفلاسفة والعلماء من جهة ، وبين رجال الكنيسة من اللاهوتيين ، من جهة اخرى ظهر في العصر الحديث ايديولوجيات علمانية متعصبة، وفكر علماني متعصب ، ((انه تابو القومية الذي هو نتاج الروح الرأسمالية ، التي واجهت الفكر الديني "الوسيط المتعصب"))[26] ، لقد واجهته بفكرة اخرى هي فكرة العلمانية والدين الطبيعي .

لقد ابتدع مثقفو الطبقة البرجوازية من فلاسفة الغرب في القرن السابع عشر والثامن عشر ، تابو مقدسا اخر اسمه ((الدولة القومية)) ، وانتج فكراً متعصباً ، انتج بدوره انظمة غاية في التعصب والارهاب ، انه ارهاب الدولة القومية[27] .. لقد انتج هذا الفكر المتعصب انظمة حكم شمولية وشوفينية متطرفة . واتضح انتاج هذا الفكر وضوحا تاما في بداية القرن العشرين ، خاصة في نظام الحكم النازي في المانيا ، والفاشي في ايطاليا ، واماكن اخرى من اوربا . ووصل صدى هذا الفكر الى العالم العربي والاسلامي ، خاصة في النصف الثاني من القرن العشرين ، وانتجت انظمة حكم قومية شوفينية في مصر والعراق وسوريا ، وفي بلدان اسلامية اخرى .

واستمدت هذه الانظمة فكرها وروحها من الفكر القومي الاوربي المتعصب الذي انتج في القرن الثامن عشر ، والتاسع عشر . لقد كانت هذه الانظمة غاية في التعصب ، ومارست ارهاب الدولة ضد شعوبها ، مما اهدر كرامة الانسان ، وسحق حريته بشكل قاسٍ ومأساوي .

ولا اعتقد ان فلاسفة العصر الحديث حينما نظروا لمفاهيم مثل العقلانية والعلمانية ومفهوم الدولة الوطنية او القومية ، كانوا ينووون ان تبنى انظمة شمولية دكتاتورية ، تحط من قيمة الانسان وكرامته وحريته ، بل ان جلّ اهتمامهم كان منصبا على تحقيق حرية الانسان ككائن حرّ متميز بحريته ، بل ان الحرية كما رآها معظم الفلاسفة هي قيمة انسانية جوهرية بمعنى : ان الانسان بدون حرية ، وخاصة حريته الفكرية يفقد جزءا من انسانيته .

ان النقد المعرفي الذي قام به فلاسفة اللاهوت العصر الوسيط كان يهدف هدم الاطر المعرفية ، التي قام عليها النظام السياسي والاجتماعي للدولة الدينية ، اذ كانوا يرون مثلا ان التعصب الموجود في المجتمع هو بسبب فكر الكنيسة ، وبسبب عدم الفصل مابين الدنيوي – والديني ، وحيثما يتداخل الفكر الديني مع السياسة الدنيوية ، يكمن الخلل ؛ لذا دعى هؤلاء الى فصل الدين عن السياسة ، "ورفعوا شعار الدين لله والوطن للجميع" . وان السيد المسيح لم يكن يدعو الى بناء دولة ، بل دعى الى بناء الانسان باعطائه حريته وتربيته على المحبة والسلام . وبهذا الصدد تبنى معظم الفلاسفة مذهبا دينيا يتماشى ورؤيتهم للدولة والانسان ، انه المذهب البروتستانتي الذي دعى الى ان يكون التدين فرديا ، فليس هناك وسيط بين الله والانسان ، وقلل من قدسية رجل الدين ، فهو ليس مقدسا ، ودعى الى حرية المعتقد، وفصل الدين عن الدولة ، وتحجيم نفوذ الكنيسة ... الخ . ودعى الى الاخوة في الوطن وفرض حماية الدولة على لكنيسة ، وليس العكس .

لم تحقق الدولة التي نظّر لها فلاسفة العصر الحديث ، طموح الفلاسفة في بناء دولة الحرية الخالية من التعصب ، بل ان الظلم والطبقية والتعصب ظهر بلون جديد ، وانتقلت السلطة والثروة الى طبقة جديدة ، وظهرت تناقضات اجتماعية جديدة ، وظهر الفارق بين الاغنياء من الطبقة البرجوازية والفقراء من الطبقة العاملة التي كانت تعيش حياة الضنك والعوز والحرمان . فما كان من الفلاسفة الذين ينظرون بعين ثاقبة الى تلك التناقضات الاجتماعية ، والتي ولدّت مشاكل سياسية كبيرة . فطرحوا ايديولوجية جديدة اعتقدوا انها الحل النهائي لكل مشاكل البشر ، وانها اذا ماطبقت سوف يعيش البشر حياة السعادة ، والرخاء ، والحرية ، والعدالة والسلام ، وتنهي الظلم والتحجر والتعصب ، فما كان من الطبقة العاملة في كل البلدان ، الا ان تتلقفها وتؤمن بها ضد التعصب والتزمت والدوغمائية ؛ لا انها تجيب على كل اسئلتهم وتحل كل مشاكلهم اذا ماطبقت ، واعتبرت هي دين الانسانية الجديد . إنها الايديولوجية الماركسية التي قدست الطبقة العاملة ، واتخذت المادة اساسا ومنطلقا ، واتخذت نتائج العلم ونظرياته الكبرى تابو مقدسا ، ونفت الدين نفيا تاما على اعتباره جذر التخلف ، وأحد اسس الظلم والطغيان والتعصب .

ان الماركسية تابو مقدس جديد ، لايمكن نقضه ؛ لان اساسه علمي وعقلاني، ان اي انحراف عن هذه الايديولوجيا التي ادعت انها اكتشفت القوانين المحركة للتاريخ، والمجتمع ، والطبيعة ، يعد خيانة ، ومروق ، ووقوف امام عجلة التطور ، ووقف لحركة التاريخ ، وحركة الانسان نحو التقدم .

ولقد مُورس التعصب والإرهاب في البلدان التي طبقت الماركسية كنظام حكم بشكل بشع جدا . فروسيا ستالين ، وربيع براغ ، والخمير الحمر ، بعض من الشواهد الكثيرة على هذا التعصب .

لقد قام الفلاسفة بنقد الماركسية كفلسفة ، وكأيديولوجيا ، وانتقدوا بشدة التعصب الاعمى للأنظمة الشمولية التي انتجبت ارهابا قل نظيره في التاريخ ، وبينوا ظلم هذه الانظمة الاستبدادية ولإنسانيتها ، وما انتقادات سارتر ، ورسل ، وبوبر ، والقائمة طويلة جدا ، الا دليل على شجاعة الفلاسفة ووقوفهم ضد التزمت والتعصب الذي ينتج ارهاباً .

ان التعصب ايا كان نوعه حينما يتحول الى ظاهرة اجتماعية يصبح ارهابا . ولقد عانى الفلاسفة منذ اقدم العصور من هذه المشكلة . ومن الطبيعي ان يكون الفلاسفة هم اول ضحايا التعصب ، اذ إن التعصب ينتج ارهابا فكريا بالضرورة ، وبما ان الفلسفة هي التفكير العقلاني الحر ، والتعصب هو التفكير اللاعقلاني المتزمت ، بمعنى ان المتعصب لديه خلل فكري ، اي لايفكر بطريقة منطقية صحيحة ، فيكون من الطبيعي ان يحدث هناك صراع بين الفيلسوف والمتعصب ، وإذا ما أُصِيبَ المجتمع بهذا الداء ، أي داء التعصب ، فسوف يُصاب المجتمع بداءٍ خطير .

ونقصد بالمجتمع هو الغالبية من الناس اصحاب العقول البسيطة ، التي يمكن ان تقتادها ببساطة بخطابات تعصبية غير عقلية ؛ لان طبيعة الانسان لايريد ان يفكر بعقلية حرّة وناقدة . اي انه لايريد ان يجهد نفسه لمعرفة الحقيقة كما هو الفيلسوف ، بل هو يريد ان يرضي عقله بخطابات غير عقلانية ؛ لان المعرفة الم ، وطريقها شائك ، ومتعب للعقل . وهذا الانسان منشغل بحياته اليومية ، وبكيفية توفير مستلزمات هذه الحياة ، لذا يكون من الطبيعي ان يكون عقله منقاد لأشخاص ومؤسسات ، يكون خطابها متوائما مع عقول هؤلاء البسطاء . وهم بالتأكيد يعرفون تلك العقول ، وبالتالي يسهل السيطرة على هذه العقول ، وتصبح الافكار التي يغرزونها في عقولهم مقدسة صادقة صدقا مطلقا ، لا يمكن مناقشتها ؛ لانها اتت عن طريق اشخاص لا يأتيهم الباطل لا من امامهم ، ولا من خلفهم ، وتصبح هذه الافكار مقدسة ، ويصبح الافراد المؤمنون بها غاية في التعصب والتزمت ، واي تفكير في مخالفتها يعتبر ذنب كبير ، بل يُكَفر ، ويُجرّم ، كل من يناقش في مسلماتهم "عقيدتهم" ولان الفكر لايمكن ان يبقى ثابتاً مع تقدم الزمن ، وتطور المجتمع ، فالمتعصب هو المدافع بحماسة عن ثوابت عفى عليها الزمن . والفيلسوف هو ذلك الانسان الذي يشعر بتناقضات الوضع السياسي ، والاجتماعي ، ومن ثمة الفكري اي انه الواعي لمرحلته ، وما تمر به من تناقضات .

ويرى هيجل ان الفيلسوف يحاول ان يخرج من هذه التناقضات ، اي من الوسط الاجتماعي الذي هو فيه ، ليخلق كينونة جديدة . وحين يخرج من هذا الوسط بمعنى انه خرج عن ذاته ، الا ان عملية الخروج هذه هي سلب لذاته ، وتكوين ذات معرفية جديدة ، وتكوين نظام اجتماعي جديد[28] .

لقد استعرضنا هذه الفكرة لأنها تبين بوضوح واختصار مدى اهمية الفيلسوف، واهمية وظيفته الاجتماعية ، انها بحق مهمة جسيمة وخطيرة ؛ لان الفيلسوف حين يفعل هذا يواجه التعصب ، يواجه الاخر الذي هو كل المجتمع بكل افراده ومؤسساته الثقافية والسلطوية ؛ لان عملية التجديد تواجه دائما بأعنف الوسائل اللاإنسانية .

ان عملية التغيير الجذري للفكر تواجه دائما بتعصب وتشنج وعنف ، لان تغيير بنية الانسان الفكرية هي من اعصب الوظائف ، واصعب الرسالات ، وهكذا واجه الرسل والمصلحون والفلاسفة الصعوبات ، حينما ارادوا الاصلاح وتغيير الوعي .

مفهوم التعصب الديني عند جون لوك

جون لوك فيلسوف التسامح ، وسمي ايضا فيلسوف الحقوق المدنية واحد اهم فلاسفة العقد الاجتماعي[29].. عرض لوك اسباب مختلفة كلها تؤدي الى التعصب الديني . اذ ركز على التعصب الديني ، ولم يركز على انواع التعصب الاخرى والسبب في ذلك هي الظروف السياسية والاجتماعية التي كان يعيشها الفيلسوف في العصر الذي عاش فيه ، اذ كان الصراع مازال قائما بين الجمهوريين والملكيين ، صاحبه صراع بين رؤيتين مختلفتين للدين المسيحي ، وانشقاق اجتماعي ، وتحزب لفريقين كل يرى نفسه انه هو الحق . وادى ذلك الى حرب اهلية شعواء ادت الى قتل للجنس البشري وحرق للممتلكات ، وكبت للحريات . كل هذا كان يحدث باسم الدين[30] ..

ولذلك وجب على الفيلسوف ان يرى بعين ثاقبة وناقدة ، اسباب كل هذا الارهاب الذي هو نتيجة طبيعية للتعصب ، الذي كاد يودي بحياة كل البشر ، ويفكك الدول ومؤسساتها . نعم انها وظيفة الفيلسوف ، وهي ان يحدد ويشخص الاسباب ، فاذا ماعرفت الاسباب ، فانه يمكن ان توضع الحلول .

ولقد حدد لوك تلك الاسباب التي ادت الى حروب ظاهرها طائفي ، ولكن جوهرها سياسي ، اي الصراع على السلطة ، وكان من هذه الاسباب :

1. تداخل الصلاحيات بين مؤسسة الدولة ، ومؤسسة الدين . او مايسميه هو بلغته "الامير والضمير"[31] .. اذ يرى لوك ان الدولة هي مجتمع من البشر يشّكل بهدف توفير الخيرات المدنية ، اي الدنيوية ، والخيرات المدنية هي : الحياة ، الحرية ، الصحة ، راحة الجسم ، بالإضافة الى امتلاك الاشياء مثل المال ، الارض،...،الخ . وان واجب الحاكم المدني "رئيس الحكومة" هو توفير الضمانات التي تسمح للناس – كل الناس – من امتلاك هذه الحقوق ، والحفاظ على ارواح

الناس وحقوقهم المدنية ، واهمها حقهم في الحياة ، ومنع الاخرين من انتهاك حقوقهم[32] .. بموجب السلطة المعطاة له من قبل الشعب ومن هنا تكمن قوته ، اذ انه مفوض من قبل الشعب بجميع طوائفه واديانه[33].. ويكون هنا قد حدد واجبات الحاكم، وحقوقه ، فاين يكمن الخلل اذن ؟ وكيف يبدأ العنف والتعصب ؟

والجواب : انه يبدأ حينما يمارس الحاكم العنف ضد فئة معينة من الناس ، بمساعدة الكنيسة ، بحجة مروقهم عن الدين والهرطقة والكفر[34]..

وبما ان لوك قد حدد وظيفة الحاكم ، وحدد سلطته فليس من حقه اذن ان يمارس العنف ضد الناس ، بحجة خلاص النفوس ، فهو حاكم مفوض من قبل الناس لحمايتهم ، وحماية مصالحهم الدنيوية ، وليس مفوضا من الله لخلاص النفوس[35] .. كما يقول : ان الله لم يكلف اي احد بذلك ، وان الشعب لم يمنح الحاكم هذه السلطة ايضا . ان هذا الامر يؤدي الى العنف والتعصب ، ان سلطة الحاكم برانية ، بينما الدين الحق ينشد خلاص النفوس ، وفي الوقت نفسه ان طبيعة العقل البشري لايقبل اكراهه على دين او عقيدة معينة ، وخاصة اذا جاءت من سلطة برانية كسلطة الحاكم المدني ، ان ممارسة التعصب ضد شخص معين ، او فئة معينة ، لاتثبت العقيدة ، بل تؤدي الى فعل عكسي تماما[36] .

ثم انه ليس من حق الحاكم ان يجتث دينا معيناً ، في اي زمان ، وفي اي مكان، حتى لو دعته الكنيسة الى ذلك وحتى لو افترض ان الدين الذي يؤمن به هو الدين الحق ، إذ لايجب ان تمنح السلطة الدينية للحاكم المدني ، لان هذا سيؤدي الى تعصب واضطهاد وسفك للدماء كثير ، وسوف لا يكون هناك رادع للحاكم ، لماذا ؟ لانه هنا يقتل ويعاقب باسم الدين وباسم الله ، ويعتبر نفسه هو الحقيقة الوحيدة الصحيحة ، وهي سمة دينية اصولية من سمات التعصب[37]...

ان الخروج عن طاعة الحاكم في هذا الظرف . سيكون خروجاً عن الدين ، وخروجاً عن طريق الحق . وعن مرضاة الله ؛ لان الحاكم هنا يمثل امة ، في حين ان الحاكم يمثل الدولة المدنية فقط ، وانه لا احد – كما يقول لوك – يمثل الله ، فطريق الله ممكن ان يسلكه اي فرد مؤمن[38].

ان وظيفة الحاكم هي المسؤولية عن كل ماهو ليس دينيا . وظيفة الحاكم المدني تكمن في سلامة ارواح البشر في الدولة . ولكن التداخل الذي يحصل بين وظيفة الحاكم ، ووظيفة رجل الدين ، هو في الافعال الاخلاقية ؛ لان لها علاقة بـ((التشريع البراني والتشريع الجواني)) ، حسب لغة لوك اي بالامير والضمير . والخطورة تكمن في ان يطغى احد التشريعين على الاخر ، ثم يحدث انشقاق بينهما ، اي بين الحكم المدني المشرف على السلام العام ، والدين المشرف على خلاص النفوس والروح . اذ يجب ان يحافظ على التوازن بين هاتين الحكومتين[39] .. ولكن كيف يحصل التوازن ؟ اي : كيف نتلافى التعصب ؟

اولا : اننا لايمكن ان نحيا بدون دين . لان لكل انسان روحا ، وان هذه الروح قادرة على الحصول على السعادة الابدية او البؤس . فسعادة روح الانسان مستندة الى اعتقاده واعماله في هذه الدنيا . وهذا ضروري للحصول على رضا الله . ويلزم من ذلك امران :

الامر الاول : هو ان ممارسة العبادات ، والطقوس ، والواجبات الدينية ، هي الواجب الاعظم المنوط بالبشرية .

الامر الثاني : هو الامر المهم في هذا الموضوع ، وهو انه ليس لاحد الحق ان ينتهك حق الانسان في كيفية ممارسة طقوسه ، او يخطأه في اعتقاده ، او ايمانه ، لان هذه القضية فردية بحته . بمعنى ان قضية الايمان ، او الاعتقاد بدين او مذهب او عقيدة ، ويجب ان لا يجرم عليها احد ليس من حق الحاكم المدني او الكنيسة ان يفرضا عقيدتهما بالقوة بل ان المسيحية هي دين محبة ، وسلام ، وموعظة حسنة ، اي ممارسة خلاف ذلك – اي فرض عقيدة بالقوة والاكراه – فهي منافية لوظيفة الحاكم المدني او الكنيسة[40] ..

فواجب الحاكم المدني اذن حماية الشعب بكل الوانه واطيافه ، لافرض عقيدة ما عليه. وبما ان واجبه حماية ارواح الشعب – كل الشعب - ، فانه اذا ماسلك هذا الطريق ، سوف يجنب الدولة احد اهم الاخطار التي تحدث الا وهو خطر التعصب .

2. عدم تدخل الكنيسة في شؤون السلطة المدنية "الدولة" . وان لوك صاحب رسالة الحقوق المدنية ، كان من اوائل المنادين بفصل الدين عن السياسة ، وكذلك دعى لوك الى عدم تدخل الحاكم في الشؤون الدينية وانحيازه لفئة معينة ، او مذهب معين ، ودعى الكنيسة ايضا ، ان لاتتدخل في شؤون الحاكم ، التي اوضحناها سابقا، اي شؤون الدنيا .

ان اول عمل للكنسية هو نشر ثقافة التسامح ، ونبذ التعصب الذي ينتج الارهاب والقتل والعنف . واذا ما ارادت الكنيسة ان تنشر الايمان ، او عقيدتها او فكرها . فهناك اليات او اسلحة ، كما يحلو للوك ان يسميها ، يمكن استعمالها في سبيل نشر عقيدتها . وهذه الاليات هي : الدعوة ، الانذار ، النصيحة . واذا لم تنفع كل هذه الاليات في الاصلاح ، فان اقسى مايمكن ان تستعمله الكنيسة هو "فصل المعاندين" او المارقين . وليس هناك عقاب اقسى من هذا ، اي طرد العضو من الكنيسة الذي يسمى "الحرم" بالمصطلح الكنيسي[41] .

لقد استخدمت الكنيسة وسائل اخرى ، وعقوبات قاسية ، مرارا سواء بالقول او بالفعل ، مما ترتب عليه احداث ضرر في بدن او ممتلكات الانسان ، ولكن هذا خروج من رسالة الكنيسة ، وهو في الوقت نفسه ليس من صلاحيتها . اذ هي من صلاحيات الحاكم المدني[42]..

ان الكنيسة – كما يقول لوك – هي مجتمع حر ، ذو ارادة . وعلى ذلك فان عضوية الكنيسة لاتنتقل بالتوريث مثل الارض ، وبناء على كل ذلك فان كل فرد يحتفظ بإيمانه بنفس الطريقة التي يحتفظ بها بآرائه . وليس ثمة انسان ملتزم بكنيسة معينة او بطائفة معينة . ولكنه

ينتظم طواعية الى اي كنيسة يريد الانضمام اليها . ويكون انضمامه بملئ ارادته وحريته . ان فرض اي معتقد ديني بالقوة سيكون خطأ جسيما، وهو في الوقت نفسه ليس من صلاحية الكنيسة لان الاعتقاد الديني لايفرض بالقوة وبالترهيب . بل بالدعوة الصالحة والاقناع الروحي والعقلي ، وليس من حق الكنيسة معاقبة اي شخص يرفض تعاليمها ، ومعتقداتها ؛ لانه ليس من صلاحية رجل الدين ان يفرض اي معتقد على ابناء الشعب ، لان ذلك سيكون تعصبا وظلما للمواطنين .

كما ان واجب رئيس الدولة حماية المواطنين – كل المواطنين – من الظلم الذي قد يقع عليهم ، في ابدانهم ، واموالهم ، ولا ينصر اي كنيسة او اي مذهب ديني..[43]

3. كما يجب ان لاتنشد الكنيسة الامور الدنيوية ، لان غاية الكنيسة هي الحياة الابدية والخلاص . وعلى ذلك فان فرض اي قانون من الكنيسة على البشر الذين لايؤمنون بها ، يعد مخالفا لتعاليم المسيحية الحقة ورسالة المسيح[44].

وملخص القول : انه يجب ان تنتقد الكنيسة على تدخلها بالحياة المدنية ؛ لان هذا من شأنه الاخلال بالتوازن الذي يجب ان يكون بين الامير والضمير ، اي بين السلطة الدينية ، والسلطة المدنية ، او بين الدين والدولة فلكل منهم مجاله الذي يجب ان لايتجاوزه ، ولقد ادى هذا التدخل الى احداث فوضى عارمة ، والى انتهاك للحقوق المدنية ، وتجاوزات على كرامة الانسان وحريته التي يجب ان تصان . وبالتاكيد فأنه ينشأ التعصب الاعمى الذي كان سمة العصور الوسطى ، وفترة طويلة من العصر الحديث .

معالجة التعصب بقيام المجتمع المدني ورفض الدولة الدينية

اكد لوك ان احد اهم الوسائل لمعالجة التعصب ، هو قيام دولة مدنية ، و(تكوين مجتمع دنيوي) ، متكاتف وقوي ، يضمن السعادة الدنيوية[45] .. وان قيام المجتمع المدني يحدث بعد انحسار الفكر الديني الخاطئ ، الذي عممته الكنيسة على العقول في تلك الفترة . وهو الامر الذي يقضي ان ينحسر نفوذ الكنيسة السياسي وتتم تنقية العقيدة من الشوائب ، وتوضيح مفهوم العبادة ، ومعرفة ان الصلة بالله لاتاتي عن طريق رجل الدين او الكنيسة ، فهي ليست حلقة الوصل بين الانسان وربه ، بل ان الشخص المؤمن قادر على الاتصال بالله من دون وسيط . يقول لوك في هذا الصدد: (اما الحياة الابدية فيجب ان يترك لكل انسان فرد ، طريقة الاهتمام بها . اي انها قضية فردية لاتحتاج الى تكاتف .. اي ان الحصول عليها لايتم بجهد الاخرين ، ولا فقدانها مردود الى خبث الاخرين)[46].

ان الحياة الدنيوية فيها صراع عنيف ، حول الممتلكات والنفوذ .. الخ ، ومن الصعوبة بمكان ان يحافظ الانسان على مايمتلكه من عرق جبينه ، وان يحافظ على حريته ، وفي سبيل الحفاظ على ذلك وجب تكوين "مجتمع مدني" ، متكاتف ، متعاون ، قوي ، حتى يضمن السعادة الدنيوية.

ان التعصب يحدث حينما تميل الدولة الى طائفة معينة . وهذه الطائفة تريد ان تأخذ حقوقا اكثر من حقوق المواطنين غير المنتمين الى تلك الطائفة بمساعدة الدولة. مثلا إطلاق يد طائفة معينة في أن تبشر بافكارها وتعاليمها ، ودعم تجمعات واحتفالات وطقوس تلك الطائفة ومباركتها ومنع الطوائف الاخرى ممارسة نفس العمل ، بحجة انها تمثل خطرا على الدولة . ان انتزاع هذا الحق من جماعة ما ، يكون امر مضاد للحق المدني كما يقول لوك[47].

ان واجب الحاكم المدني هو عدم السماح لاي طائفة ان تطغى على طائفة اخرى ، بل معاقبة اولئك الذين يزعمون باسم الدين انهم يتحدون اي سلطة ، ليس لها اي علاقة بمذهبهم او بتجمعهم الديني .ان طروحات هذه الفئات سياسية ، وليست دينية ، ولاعلاقة لها بالايمان والدين . وهؤلاء – كما يرى لوك – خطرون جدا ، لانهم مستعدون للانقضاض على السلطة المدنية في اي وقت كما يبدو ذلك في طروحاتهم .

ويصفهم ايضا بانهم طلاب دنيا وليس طلاب دين ، لان الدين والايمان الحقيقي لايقبل التعدي على حقوق الاخرين مهما كانت عقيدتهم[48] ، واذا امتلكوا القوة التي يمكن ان تطيح بالسلطان الحاكم فسوف يفعلون . اذن يجب قيام مجتمع مدني قوي قادر على صهر كل الطوائف والاديان ، وقيام المجتمع المدني ، ينفي ((التعصب)) الاعمى لاي طائفة ، لان المجتمع المدني بقوته يطغى على اي طائفة. وتحصل مساواة فيه بين كل افراد المجتمع ، ومن خلالها سيكون هناك قانون مدني ((يمثل الكل)) ، وهذا القانون سيكون هو السلطة العليا ويتساوى امامه الجميع ، ومن خلاله تنبثق المؤسسات المدنية التي تحول وعي الانسان ، وسوف يؤمن المواطن بالدولة ، ويدرك انها قادرة على تأمين حياته وحريته وممتلكاته ، وسوف ينهض للدفاع عنها ضد اي تعصب[49] ، ومن هنا يتبين ان الدولة الدينية غير قادرة على حماية كل مواطنيها ؛ لان الدولة الدينية سوف تتعصب لطائفة معينة دون غيرها .

الدولة الدينية دولة متعصبة

يضرب لوك مثلين تاريخيين على تعصب الدولة الدينية ، ويرى ان تدخل الدين في الدولة سيؤدي الى ان تصبح الدولة حتما "دولة متعصبة" ضد فئة من مواطنيها ، ويؤكد لوك مرة اخرى على ان الدولة يجب ان تكون دولة مدنية .

والمثل التاريخي الاول : هو قصة دخول المسيحية الى اوربا والى روما القيصيرية بالذات . اذ كان هناك قبل دخول المسيحية حكم مدني ، وعقيدة الدولة وثنية ، ولم يكن هذا الحكم يحاسب المواطن على عقيدته ، وبعد ان يحدد لوك مزايا الحكم المدني في روما ، اذ كان الشعب يؤمن بالقانون المدني ، والعدالة ، وقانون الطبيعة ، وعدم الخروج على قواعد المجتمع المدني ، ادى دخول المسيحية في هذا المجتمع بعدما اصبحت عقيدة السلطة الحاكمة[50] ادى الى ان تمارس هذه السلطة انواعا من القسوة والفظائع ضد الافراد الذين لم يدخلوا في هذا الدين ، واصبحت المسيحية قوة شرهة تريد السيطرة على كل شيء مادي . السيطرة على النفوس والعقول ،

واصبح الدين عبادة تنشد به السيطرة والنهب[51] يقول لوك : (انه حتى لو كانت الوثنية خطيئة ، ينبغي تجنبها وهذا الاستدلال صحيح (كما يقول لوك) ولكن لايلزم من كونها خطيئة ان يكون العقاب من مهمة الحاكم المدني لانها خطيئة ضد الله . ان هذه الخطيئة لاتمس حقوق الاخرين ، ولاتنتهك سلام المجتمعات)[52].

انه دليل تاريخي يطرحه لوك ، ليؤكد فيه ان تدخل الكنيسة كمؤسسة دينية من خلال فرض عقيدتها على المواطنين سيؤدي بالضرورة الى حالة من التعصب الاعمى الذي ينتهك بشكل كبير حقوق المواطن المدنية ، ، منها حقه في الحياة والحرية والملكية . اذ ان المسيحية هي دين الاخرة ، وخلاص النفوس ، دين التقوى والاصلاح ، ولكنها تحولت – حين دخولها الى عالم السياسة – من دين محبة وسلام ، الى عنف وتعصب وقتل وتعذيب ، ومصادرة لحرية الاخرين[53].

اما الانموذج الاخر الذي يطرحه لوك ، فهو الدولة اليهودية . ويقارن بين المسيحية واليهودية . اذ يرى ان المسيحية تختلف عن اليهودية ، فلا يجب على المسيحية معاملة الوثنيين بقانون موسى الذي يجتث الوثنيين ؛ لان الدولة اليهودية دولة قومية، وموسى دعى الى دولة قومية خالصة ، وخاطب مجتمعا متجانسا : (يا اسرائيل اسمعي) ، وهذا معناه : ان قانون موسى يلزم به شعب موسى فقط ، وهم من دم واحد ، من قبيلة واحدة ، ودينهم مقتصر عليهم فقط[54].

ثم يوضح لوك سمات هذه الدولة الدينية الثيوقراطية . اذ يرى ان الدولة اليهودية دولة مختلفة عن اي دولة اخرى ؛ لانها مبنية على اساس ثيوقراطي مطلق، وهي دولة متماهية مع الكنيسة وقوانين عبادة الاله غير المنظور هي قوانين الشعب اليهودي . اذن فالشعب اليهودي هو شعب متدين ، ومن قومية واحدة ، ومن دم واحد ، بل من عائلة واحدة ، والقوانين السياسية هي جزء من النظام السياسي ، اذ ان الله هو المشرع[55].

وبالرغم من كل السمات التي ذكرناها عن العقيدة اليهودية ، ورغم ان العقيدة اليهودية كانت من مجتمع متجانس ، وبالرغم ان موسى قد دعى لبناء دولة خاصة ببني اسرائيل ، ولكن لم تستطع اليهودية عبر التاريخ ان تبني دولة حقيقية بعد موسى . وحتى دولتهم التي اسسها موسى فقد كانت فترتها قصيرة . والمجتمع اليهودي يتصف بالتعصب ، وعدم التجانس مع الشعوب المجاورة . وكان هاجس الخوف من المجتمعات الاخرى المجاورة لهم موجودا ، لذلك اتصف سلوكهم بالتعصب والعدوانية دائما[56] .

ثم انهم تفرقوا فيما بعد في اصقاع الارض في مجتمعات صغيرة متعصبة لعقيدتها ، مغلقة على نفسها ، لخوفها على عقيدتها من التمزق والضياع لذلك لم تستطيع العقيدة اليهودية ان تبني دولة على مر التاريخ . واما دولة اسرائيل فتلك قضية اخرى لايسعنا الحديث عنها الان .

مفهوم التعصب عندهيغل

عرض هيغل في ادبياته نوعين من التعصب : التعصب الاول هو التعصب الديني ، والتعصب العلماني ، الذي هو نقيض التعصب الديني .

وعرض هيغل لمفهوم التعصب الديني في الكثير من كتبه ، ولكنه ركز على هذا المفهوم . اي التعصب الديني . في كتابه "محاضرات في فلسفة الدين" . حيث راى ان التعصب بالنسبة للمتدينين الذين يكونون ضمن الدولة ، على حساب ان الدولة واقع موضوعي ، والدين معرفة . فالمتدين تكون علاقته بالمطلق الذي يكون ازاءه كل شيء عرضي ، وبهذا تكون الدولة وقوانينها المدنية شيئا ضعيفا وغير مستقر ، اي ان الدولة غير ثابتة ، بل تتغير وتتبدل فهي اذن غير جوهرية ، مقابل ذلك فان قوانين الدين وشرائعه ثابتة وابدية[57] .

هذه النظرة للمتدين ازاء قوانين الدولة لاتؤدي حسب هيغل الى قبول ازاء النظام الاجتماعي ، والسياسي ، بل كما يرى يحمل في جنابته خطر التعسف والتعصب[58] في حد ذاته . لماذا ؟ لان من يجعل مقام اعتقاده الشخصي فوق كل نظام اخلاقي ، اي "قانون مدني" ، قانون الدولة ، فسوف لن يستطيع في هذه الحالة ان يجعل للكافر حتى حق الحياة . انه لن يعترف بالشخص الذي لايؤمن بعقيدته بانه إنسان[59].

ان المتعصب حينما يخالط الواقع – اي واقع المجتمع المدني الذي يعيش فيه انواع من الناس ، منهم متدين ، ومنهم غير متدين – انه حينما يصطدم بهذا الواقع في الحقيقة لايعترف به ، اي لايعطيه الشرعية ، ولايعترف باي قانون يصدر من قبل الدولة على حساب ان الدولة واقع انساني ، وان العدالة لايمكن ان تاتي من القوانين التي يسنها البشر ؛ لانها قوانين تعبر عن مصالح نفعية[60].

ومن جهة اخرى فان المتعصب يتصرف بشدة وتعسف ، ضمن هذا العالم الواقعي ، حيث يعتبر ان هذا الواقع تافه ، لاقيمة له ، ومن المستحيل ان يرتقي الى المثل الاعلى المرسوم في ذهنه ، اذا هو بالمقارنة مع الحقيقة المثالية السامية ، شيء تافه وعديم الاهمية[61] .

وفي انموذج المتعصب الديني ، يطرح هيغل الشخصية الاسلامية انموذجا . وخاصة في كتابه "محاضرات في فلسفة التاريخ"[62].

ان السمة الاساسية للمتعصب الديني كما يرى هيغل هو نفي كل ماهو موجود لصالح مثل اعلى مجرد . يقول هيغل : "ان التعصب قد يكون جوهريا فقط عندما يتصرف بشكل جوهري ، وهدام ضد الملموس"[63] .

اذن المتعصب – حسب هيغل– هو ذلك الشخص الذي لايستطيع ان يراعي ان هناك حقيقة منقسمة ، ومستقلة دائما . وفي اعتقاده تصور للمثل الاعلى الاخروي . اي ان المتعصب المتدين يريد حياة مثالية ، على حين ان الواقع هو عكس ذلك . وعلى ذلك فهو غير راضٍ عن الدولة والمجتمع والمؤسسات والقوانين؛ لانها قوانين غير صحيحة ، ولا تمثل الحقيقة المطلقة[64].

ان المثل الاعلى عند المتعصب يكون مثلا ذاتيا ، وليس موضوعيا ، وقد يكون المثل الاعلى مفهوم الخير ، او مفهوم العدالة .

ان الواقع عند المتعصب شيء تافه ، ولايرتقي الى المثل الاعلى ، و هذا المثل الاعلى يحيا داخل ذهن المتعصب[65].

اعطى هيغلانموذجا للمتعصب الديني في الشخصية الاسلامية ، حيث يقول هيغل : "للمتعصب امكانات هائلة من الابداع ، فالروحانية الاسلامية قادرة على ان تنتج تاريخا ، و انسانا دنيويا نبيلا ، يذهلنا بنشاطه ، وتضحيته و تعصبه للمطلق . كما يذهلنا بسخائه ، وكرم اخلاقه ، ولاباليته حيال ذاته[66] .

يقول هيغل : ان الحماس بتحقيق مثل هذه الافعال العظيمة ماكان لها ان تتحقق الا في زمن انتشار الاسلام التعصبي[67] ثم ان هيغل لم يقصد فقط القوة العسكرية والاقدام على التضحية من قبل المسلمين في المعارك ، الذي كان نتيجة لايمانهم بالعقيدة والدينية ، بل ما انتجته الديانة الاسلامية من ثقافة مختلفة في مجالات العلوم والاداب والفنون الاخرى[68] .

ويرى هيغل ان مفهوم الله في الديانة الاسلامية ، يتناسب مع التعصب ، ونقصد هنا عقيدة التوحيد عند المسلمين . اذ ركز المسلمون بكل فرقهم على مبدا التوحيد ، باعتباره المبدأ الاساس عندهم ، وهم ومن خلال هذه العقيدة ارادوا ان يبينوا اختلافهم عن سائر الديانات الاخرى .

ويرى هيغل ان تصور الله الواحد بوصفه (الواحد المطلق)[69] . يستتبع ادراك الانسان ان الله مطلق غير محدد . يقابله الانسان ، والانسان هنا تافه امام الله المطلق، وعلى ذلك فليس امام الانسان سوى غاية واحدة مقبولة وهي الشعور بعظمة هذا المطلق وقوته وجبروته . وعلى ذلك لا تكون للحياة الدنيا التي يعيشها قيمة ، وتكون فقط حياة الاخرة لها قيمة . وعندها تكون هذه الحياة وبكل احداثها تافهة ، وتكون كل افعال الانسان في هذه الحياة تافهة ، ولاقيمة لها . لان الانسان في الحياة الدنيا لايمكن ان يتخطى جزئيته . وتكون فقط الحياة الاخرة هي الحياة المثلى . وعليه يلجأ الانسان الى محاولة الاتصال بالله ، والانغماس الروحي ، عن طريق العبادة ، ومحاولة ارضاء الله ، والاتصال به عن طريق الرياضة الروحية ، والابتعاد عن ملاذ الدنيا ، وعدم الاهتمام بها . ان هذا الانغماس بالله كما يرى هيغل يؤدي الى التعصب[70].

ان هذا التوحيد ، او تبجيل الله الواحد – كما يرى هيغل– يجب ان يكون من جميع الناس . وان قيمة هذا التصور ، لايدركه الانسان ، اي لايدرك قيمته الحقيقية الا عندما يؤمن بالله . لان الانسان بحد ذاته ، وعند ايمانه بالمطلق وكلما ازداد معرفة واحاطة بالله ، صار اكثر انسانية ، واصبح له جوهر[71] .

وفي قضية الايمان هذه تستبعد كل الاراء الاخرى . انها قضية مركزية ومقدسة بالنسبة للمؤمن ، ولايمكن مناقشة اراء مختلفة ، وفي قضية الايمان هذه ، يفقد الانسان قيمته الذاتية .

فمن هو مقابل المطلق ؟ الذي هو مالك كل شيء ، وبيده كل شيء وهو قادر على كل شيء ؟ ومن هو هذا العبد الضعيف امام هذا المطلق الهائل القوة؟ انه لاشيء . والمتعصب هنا لايستطيع ان يعطي اهمية لاي شيء ، ولاي انسان اخر الا بقدر ما للانسان الاخر من ايمان وتقرب من المطلق ، ويكون في هذه الحالة شديد التعلق بايمانه ، وبعقيدته "التوحيد" ، وهو لايقبل اي مساومة ، ويستخدم القوة لفرض عقيدته(72).

وقد يبدو فهم هيغل للدين الاسلامي ، ولعقيدة التوحيد ، فيه الكثير من الشطط واللبس . ونحن هنا قد نعطي هيغل العذر لهذه الطروحات عن الاسلام ؛ وذلك بسبب ماوصلهيغل من طروحات وافكار عن العقيدة الاسلامية من قبل المتشددين، الذين غالبا ماكانوا متشبعين بروح تعصبية ، وهيغل وعلى الرغم مايمتلك من رؤيا شاملة ، ومنهج عقلاني ، لم يستطع ان يخرج من تلك الدائرة الثقافية ، التي كان هو من نتاجها ، انه لم يستطع ان يخرج من تلك المركزية الاوربية المقيتة ، وخاصة في طروحاته عن الاسلام كدين وعن موقع الاسلام في التاريخ وحركته .

كيف ينظر المتعصب الديني الى النظام السياسي القائم ؟

ينظر المتعصب الديني الى النظام السياسي القائم بعين عدم الرضا ، فهو دائم الهجوم عليه ، وتبيان مثالبه ونواقصه وعدم عدالته ، وان هذا النظام وضع لمصالح فئة معينة ، او لفرد معين ، وهو نظام دنيوي لايمكن ان يحقق العدالة . وهذا طبعا راجع الى الطبيعة الفكرية للمتدين الذي لايستطيع الاندماج في الدولة والمجتمع المدني . لماذا ؟ لان المتدين المتعصب يشعر بعدم الانتماء لهذه الدولة والمجتمع المدني . ان شعوره بعدم الانتماء هذا راجع الى المثال الموجود في عقله ، وهو مثال لايمكن تحقيقه مهما وصلت الدولة ومهما وصل دستورها الى مرحلة عليا من تحقيق العدالة ، والحرية ، والسعادة للمواطن والمجتمع بصورة عامة . فهو يرى ان هذا النظام السياسي غير قادر على الوصول الى المثال(73).

ومن صفات هذا المؤمن المتعصب ، انه يطبق القوانين مع عدم قناعته بها ولسان حال يقول : انها لاتستحق المعارضة والرفض . انه يفعل مايطلب منه بتحسر وبازدراء . ولكنه في يقينه الداخلي يعدها خاطئة ، ويراها لاتصل الى مستوى المثال والصحة المطلقة .

ان هذا النوع من التعصب لايتسم بالتهديم ، او المواجهة ، بل يؤدي الى تجاهل المتعصب للقوانين الدنيوية . ان هذا النوع من التعصب لايرفض القوانين والدستور، بل يرفض الحياة كلها ، اي انه يرفض الواقع الاجتماعي بصورة عامة . لماذا ؟ لانهالاتمتلك ازاء المثل الاعلى ، الديني الاعلى سوى طابع صوري غير حقيقي(74).

ان هذا النوع من التعصب الديني ، يرجعه هيغل الى ظاهرة من الظواهر الدينية المحافظة "الكاثوليكية" ، على رغم من انه موجود عند اتباع المذهب البروتستانتي، ولكنه يعده من بقايا الكاثوليكية المحافظة(75).

ومن سمات المتعصب الديني هي اهمال الواقع ومشكلاته . لان الطبيعة التعصبية للمتدين لاتؤكد النقص في قدرته ، او العجز في ارادته لتغيير الواقع فحسب بل انه قادر في اي وقت ان يعرفنا كيف يجب ان يكون الواقع . لانه يرى ان الواقع غير صحيح ، ويمكن تغييره من خلال تغيير القوانين السائدة(76)

ان هذا الواقع يمكن ان يصبح جنة مثالية على الارض ، ولكنه في الحقيقة ليس لديه ارادة لتحقيق اصلاحاته تلك . وهذا يعبر عن ضعف في ضمير المتدين كما يرى هيغل(77) ؛ لان المتدين لايستطيع اثبات الحقيقة وفقا لتصوراته . وهذا يؤدي الى انسحاب المتدين صوب الاخرة ، ويختار مخرجا معينا يظهر فيه الضعفوالراحة الروحية ، ويقنع بالشعور التقوي ، حتى لايلزم نفسه بعمل دائم في الحياة الحقيقة ، اي الواقع المعاش(78) .

ان هذا النوع من التدين ، هو من انواع الدفاع التي يستعملها المتعصب للوقوف ضد هجمات منتقديه ؛ لان اليقين الديني شيء داخلي اي باطني ، لايمكن الحكم على صحته ، او على خطئه . اي لايمكن نقده ؛ لانهلايقوم على اساس عقلاني ، بل على اساس يقين داخلي .

ان المتعصب هنا لايمكن مناقشته ، او تبيان صحة خطئها او خطا ارائه على اعتبار ان اراءه صادقة صدقا مطلقا ؛ لانها معتمدة على البصيرة والقلب . والمتدين هنا يدعي علم كل شيء بشكل مباشر ؛ لانه يمتلك بصيرة وقلبا صادقا .

اذن فنحن هنا امام خطر التعصب . وتكمن المشكلة هنا في طريقة الادراك والفهم ، اي طريقة التفكير والرؤيا فالدين بهذا الشكل يرى الحقيقة بوصفها موضوع "اي عقلي" خارج نطاق العالم الواقعي المعاش . على حين ان الواقع المعاش فيه الكثير من الجزئيات والتفاصيل ، لاينظر اليها الدين(79).

ان الدين يستند الى سلطة مركزية موجودة ، والى الضمير ، بينما القانون المدني يستند الى الحجة ، اي الى العقل . هذا المشكل يشتمل على خطر تقديم الغاية، وهو هدف الدين على رجاحة العقل يؤدي الى صراع بين الدين والقانون المدني ، الذي يجب ان يحكم الدولة .

وبهذا يرى هيغل انه يجب ان يسود حكم القانون المدني في الدولة ، وان لايكون الدين هو الحاكم ، لانه يؤدي الى خطر التعصب والتعسف .

التعصب اللاديني او التعصب العلماني ضد الدين

لم يغفل هيغل عن تعصب اخر ، وقد رصده بشكل دقيق ، على الرغم من ان مصطلح التعصب هو مصطلح قد ابتدع او حفر ، ليرمز الى المتعصبين المتدينين . ولكن هيغل قد رأى ، وبعين الفيلسوف الثاقبة ، ان هنالك تعصبا اخر ، وهو نقيض التعصب الديني ، انه تعصب العقل ضد الدين ، العقل الذي انتج الايديولوجيا العلمانية ، والتنوير الذي انتج على ارض الوقع الثورة الفرنسية . فمثلما انتج الدين تعصب المتدينين ، فقد انتج العقل التعصب العلماني تجاه الدين ،

لذلك حاول هيغل ان يوازن بين الدين والعقل المتمثل في الفلسفة ، وحاول ان يذكر الفلاسفة بما للدين من فضل على الفلسفة .

راىهيغل ان الفكر "الفلسفة اليونانية" قد نشأت في احضان الدين الشعبي ، ولكن فيما بعد اصبح هناك صراع محموم بين الفلسفة والدين . وقد كان هجوما عنيفا على الدين من قبل الفلسفة ، فافلاطون مثلا امر بانزال اسماء الالهة من باب اكاديميته[80].

كذلك راىهيغل ان الفلسفة الحديثة اساسها ديني . وهذا ايضا ما اكده نيتشه فيما بعد. اذ راى ان القس البروتستانتي هو اساس الفلسفة الحديثة .

رفض هيغل ان تحل الفلسفة مكان الدين ، وقد وضح اسباب ذلك اذ يقول : "لقد اصبح الفكر باختصار قوة في العالم الواقعي ، تمارس تأثيرها بعيد المدى ... وانتهى الامر بلفت الانظار الى تاثير الفكر ، وخضعت مطالبه لرقابة صارمة ، واعترف العالم بواسطتها . ان الفكر انتحل لنفسه مكانة اكثر مما ينبغي . ومع ذلك عجز عن انجاز ما اخذ على عاتقه القيام به . فهو لم يعلمنا "هكذا قال الناس" ، الوجود الحقيقي لله والطبيعة والروح . بل لم يعلمنا ما هي الحقيقة ؟ وكل مافعله هو تخريب للدين والدولة . هكذا اصبح من الامور الملحة ان تبرر وجود الفكر . ونشير الى النتائج التي توصل اليها كما اصبح الفكر وتبريره في عهد قريب ، احد المشكلات الرئيسية في الفلسفة[81] .

لقد انتجت الكنيسة المسيحية الكاثوليكية ، الدولة الدينية ، وادى دخول الدين في السياسة الى تعصب اعمى . فلم يكن الدين المسيحي بمبادئه التي شرعها السيد المسيح ، يدعو الى بناء دولة ، بل جل مبادئه تدعو الى اصلاح الانسان الفرد ، وتصفية النفوس ، والمحبة ، والسلام ، وهذا لايحدث الا بالابتعاد عن الملاذ الدنيوية المادية . وهذه التعاليم هي بعيدة عن الدولة ومؤسساتها ؛ لان الدولة تهتم بتنظيم حياة الانسان الدنيوية ، والدفاع عن حقوقه المدنية التي هي دنيوية . وحينما تدخل الدين بمؤسسته المتمثلة بالكنيسة ، ورجالها ، في شؤون المجتمع الدنيوية ، بما في ذلك الدولة ومؤسساتها بدا التعصب ، وقد اوضح هيغل ، ومن قبله جون لوك ، هذا المطلب ، وبدا الصراع بين الفكر الديني ، والفكر العقلاني . وتصدى فلاسفة التنوير ، ولاسيما الفرنسيين منهم ، للفكر الديني المتعصب ، وطرحوا ايديولوجية جديدة هي الايديولوجية العلمانية . ورفضوا الدولة الدينية ، وكل تشريعاتها . وراوا ان العقل هو الوحيد الذي له الحق في التشريع للدولة وللمجتمع المدني وان الدين هو شان فردي خاص . مستعينين لذلك بطروحات المذهب البروتستانتي الاصلاحي . ولكن العقل في هجومه على الدين كان متطرفا ايضا ، وانتج تعصبا جديدا ، وهو التعصب العلماني . وقد اعطى هيغلانموذجا له في الثورة الفرنسية . اذ ان الثوار الفرنسيين قد اعطوا انموذجا لتعصب جديد من نوع اخر ، يكاد يكون اكثر تطرفا من التعصب الديني ، وكان لابد لفيلسوف مثل هيغل من ان يرصد هذه الظاهرة ويعدد اسبابها ونقدها بشكل جذري .. وبعدما كان هيغل مؤمنا بالثورة الفرنسية وبمنجزاتها اعتبرها انتصارا للعقل والتنوير ، اي انتصارا للفلسفة على ارض الواقع ، اي هي منجز من منجزات العقل ، وتكليل

لجهود فلاسفة التنوير الفرنسيين، وتطبيقا لكل طروحاتهم . ولم يمانع من دخول نابليون الى المانيا ، على اعتبار ان (نابليون) هو المنقذ من الوضع الفكري ، والاجتماعي والسياسي الذي كانت تعيشه المانيا ، وراى ان نابليون هو روح العالم راكبا على صهره جواده[82] .. وزرع شجرة الحرية على جبال "تونبجن" احتفالا بانتصار الثورة الفرنسية ولكن حينما راى الثورة مالت نحو التعصب والتطرف ، وبدأت تاكل ابناءها ، وتهدم مؤسسات الدولة ، على اعتبارها من مخلفات النظام السابق ، بدا بعملية نقد وتشريح لهذه الثورة التي اعتمدت ايديولوجية علمانية ، واعتمدت العقل بدلا من الدين كمشرع لها. ولكن العقل قد تطرف ايضا .

ان السمة المميزة لهذه المرحلة " الثورة الفرنسية" هي الرغبة في تحقيق انموذج جميل للحرية ، منفصل تماما عن السياق الديني[83] .

لقد اوضح هيغل مفهوم التعصب الاديني او العلماني في موضعين من كتبه هما "ظاهريات الروح – وفلسفة التاريخ" . ولكن هيغل يستخدم التعصب والتعصبي في كتابه "فلسفة التاريخ" لوصف انموذج الرجل الثوري "الفرنسي" اما في كتابه "ظاهريات الروح" فيوجد توصيفان اخران هما "الحرية المطلقة" ، و "الخوف" ومع ذلك يمكن ان نفهم هذين التغيرين انهما يشيران الى التعصب والى مفهوم التعصب[84].

يصف هيغل الثوار الفرنسيين "انهم اناس جزئيون ، اذ لايقتنع كل واحد منهم الا بتصوره الشخصي بوصفه حرية مطلقة متحققة"[85]..

ولا يمكن لاي احد احد من هؤلاء الثوار الاعتراف باي شكل من الاشكال بالبنى والمؤسسات ؛ لانه يعتبرها تقييدا لحريته . بمعنى ان الثوري هنا يرى نفسه انه القانون . وكل المؤسسات الموجودة هي مؤسسات يجب ازالتها ؛ لانها من مخلفات العهد المباد . فهو هنا يريد حرية مطلقة لايحدها اي حد ، ولا يردعها اي رادع .

يرى هيغل انه لايمكنلاي احد من الثوار الذين يريدون تحقيق الحرية المطلقة ، ان يكون على استعداد لتحمل اي تقييد لحقوقهم ، وسيكون النفي الشكل الوحيد الممكن للتوحيد اللاذاتي ، والشكل الاكثر منطقية لهذا النفي هو ابادة الجميع.

ان الثوري الحاكم يرى نفسه الوحيد القادر على تحقيق مبدا الحرية ، اي انه الادارة الوحيدة القادرة على تحقيق هذا المبدأ . وعلى ذلك سوف تكون الحكومة التي هي بيد الثوري الواحد ، هي الجهة المتخصصة بالارهاب ، او مايسمى "ارهاب الدولة" ان الارهاب هنا هو علامة من علامات التعصب[86]

(1)ابن منظور ، محمد بن مكرم الافريقي المصري ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، د,ت ج1 ، ص604 .

(2)نهج البلاغة : ما اختاره الشريف ابو الحسن محمد الرضي الحسن الموسوي من كلام امير المؤمنين علي بن ابي طالب(ع) ضبط نصه وابتكر فهارسه العلمية د. صبحي صالح ، بيروت 1387هـ - 1967م . ص286 .

(3)ابن منظور : لسان العرب ج1 ، ص605 .

(4)هاني الجيزار : في اسباب التعصب ، عين الدراسات والبحوث الاجتماعية مصر الهرم ، ط1 ، 2005 ، ص18 .

(5)المصدر نفسه ص19 .

(6)معتز سيد عبد الله : الاتجاهات التعصبية ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، سنة 1990 ، ص22 .

(7)المصدر نفسه ، ص23 .

(8)هاني الجبزار : اسباب التعصب ، ص21 .

(9)احمد زكي بدوي ، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، مكتبة لبنان – بيروت 1988 . ص27-28 .

(10)الموسوعة العربية العالمية مؤسسة اعال الموسوعة للشر والتوزيع السعودية ، ط1 ، 1996 – ص12-13 .

(11)المصدر نفسه ، ص13 .

(12)valtaine , levresphilosophig use p 231

(13)jacgueloffille , larbreouxsignes , eaitions pu15

(14)جميل صليب : المعجم الفلسفي ، ج1 ، مؤسسة ذوي لقربى ، ايان ، قسم ط1 1385هـ . ص315-306.

(15)جون لوك : رسالة التسامح ، رجمة مراد وهبة ، المجلس الاعلى للثقافة ، المشروع القومي للترجمة ، الاسكندرية ، ط1 ، 1997 ، ص12 .

(16)المصدر نفسه ، نفس الصفحة .

(17)المصدر نفسه ص13 .

(18)جميل صليبا : المعجم الفلسفي ، ص306 .

(19)عبد القادر العميمي : الحوار الممتد ، محور الفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع ، العدد 3239-3113 ، ص3 .

(20)المصدر نفسه ،، ص1 .

(21)المصدر نفسه نفس الصفحة .

(22)سعد الدين ابراهيم : التعصب والتحدي الجديد للتربية في الوطن العربي ضمن الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية : الاطفال والتعصب والتربية ، الكتاب السنوي السادس ، 1989 ، ص17-19 .

(23)عبد الوهاب الكيالي : الموسوعة السياسية ج1 ، دار الهدى للطباعة والنشر ، بيروت ص194 .

(24)المصدر نفسه ، ص195-197 .

(25)هاشم صالح : مدخل الى التنوير الاوزبي ، دار الطليعة ، بيروت ، ط1 ، 2007 ، ص142 .

(26)صادق محمد نعيمي ، جذور التعصب الديني ، الحوار المتمدن العدد 159 في 24-6-2006 ، ص6 .

(27)نفس المصدر الصفحة ومابعده .

(28)زكريا ابراهيم : هيكل والمثالية المطلقة ، دار مصر للطباعة القاهرة ، 1970 ، ص328 .

(29)يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الحديثة ، دار المعارف ، مصر 1962 ، ص142 .

(30)المصدر نفسه ، ص152 .

(31)جون لوك ، رسالة في التسامح ص50 .

(32)المصدر نفسه ص22-ص24 كذلك ص5 .

(33)المصدر نفسه ص25 .

(34)المصدر نفسه نفس الصفحة .

(35)وليام كيلي رايت ، تاريخ الفلسفة الحديثة ، ترجمة محمد سيد احمد ، مراجعة امام عبد الفتاح امام ، دار التنوير ،بيروت ،ط11 ،2011 ، ص231 .

(36)جون لوك رسالة في التسامح ص26-27 .

(37)وليم كيلي رايت ، تاريخ الفلسفة الحديثة ، ص176 .

(38)جون لوك : رسالة في التسامح ص46-48 .

(39)المصدر نفسه ، ص50-ص58- 59.

(40)المصدر نفسه ص51 .

(41)المصدر نفسه ص53 .

(42)المصدر نفسه ص31 .

(43)المصدر نفسه ص27 .

(44)المصدر نفسه نفس الصفحة .

(45)جورج سباين : تطور الفكر السياسي (الكتاب الثالث) ترجمة الدكتور راشد البراوي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ص278-279 .

(46)جون لوك : رسالة في التسامح ص51 .

(47)المصدر نفسه ص56 .

(48)المصدر نفسه ص57 .

(49)المصدر نفسه ص58-60 .

(50)المصدر نفسه ص46 .

(51)المصدر نفسه ص48 .

(52)المصدر نفسه نفس الصفحة .

(53)يوسف كرم : تاريخ الفلسفة الحديثة ص152 .

(54)جون لوك : رسالة في التسامح ص48 .

(55)المصدر نفسه ص49 .

(56)المصدر نفسه ص48 .

(57)هيكل محاضرات في فلسفة الدين الحلقة الثالثة (العبادة وديانة الطبيعة) ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد ، دار الكلمة مصر – القاهرة ط1 ، 2003 ، ص69 .

(58)هيكل محاضرات في فلسفة التاريخ (العقل في التاريخ) ترجمة امام عبد الفتاح امام دار التنوير بيروت ط3 2007 ص133 .

(59)هيغل محاضرات في فلسفة الدين الحلقة الثالثة ص75 .

(60)حسن حنفي : تطور فكر الدين الغربي . الاسس والتطبيقات دار الهادي - بيروت ط1 2009 ص275 .

(61)هارد وايس : الدين والدولة في فلسفة هيغل ، نقله عن الالمانية قاسم جبر مراجعة وتقديم دكتور ميثم محمد يسر ط1 بيت الحكمة بغداد 2012 ص78 .

(62)هيغل : محاضرات في فلسفة التاريخ (العقل في التاريخ) ص132 .

(63)حسن حنفي : تطور الفكر الديني الغربي ص274 .

(64)بنهارد وايس : الدين والدولة في فلسفة هيغل ص80 .

(65)حسين الهنداوي على ضفاف الفلسفة كتاب الحكمة الشرقي ، ط1 ، بغداد 2005 ، ص61 .

(66)هيغل محاضرات في فلسفة الدين الحلقة الثالثة ، ص61 .

(67)المصدر نفسه ص65 .

(68)حسين الهنداوي ، على ضفاف الفلسفة ص63 .

(69)المصدر نفسة ص64 .

[70]هيغل محاضرات في فلسفة التاريخ (العقل والتاريخ) ،ص125 .

[71]حسن حنفي ، تطور فكر الدين الغربي ، ص275 .

[72]المصدر نفسه نفس الصفحة .

[73]هيغل محاضرات في فلسفة الدين (الحلقة الثالثة) ص11 .

[74]هيغل محاضرات في فلسفة التاريخ (العالم الشرقي) ص152 .

[75]المصدر نفسه ص153 .

[76]هيغل : اصول فلسفة الحق ترجمة وتقديم وتعليق امام عبد الفتاح امام ، دار التنوير ، بيروت ، ج2 ، ط3 ، ص420 .

[77]المصدر نفسه نفس الصفحة .

[78]المصدر نفسه – فقرة 270 – ج2 ، ص420 .

[79]هيغل : محاضرات في فلسفة الدين (الحلقة الثالثة) ص31 .

[80]هيغل : محاضرات في فلسفة التاريخ (العالم الشرقي) ص280 .

[81]هيغل : محاضرات في تاريخ الفلسفة ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط3 ، 2002 ، ص81 .

[82]هيغل : موسوعة العلوم الفلسفية ، ترجمة امام عبد الفتاح امام ، دار التنوير ، بيروت ، ط3 ، 2007 ، ص85 .

[83]عبد الرحمن بديوي : حياة هيغل ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1980 – ص27 .

[84]لينهارد وايس ، الدين والدولة في فلسفة هيغل ، ص137 .

[85]المصدر نفسه ، ص142 .

[86]المصدر نفسه نفس الصفحة